القصة النبوية خصائصها وأهدافها

The Prophetic Story, its characteristics & objectives

Asma Saeed
Ph.D Scholar, Numl Islamabad- Asma.pak917@gmail.com

ISSN
2708-6577

ABSTRACT

The language of Hadith is perfect, inclusive , comprehensive and extensive which is full of rhetoric and eloquence. This is one of the major characteristics of the Prophet; Hazrat Muhammad SAAW that he has been bestowed with comprehensive words and unique style.
The Messenger Prophet Hazrat Muhammad SAAW -was the first to follow the approach of the Noble Qur'an and its style in his words and statements.This article illustrates characteristics and objectives of the prophetic stories. This is the one of the important method of advocacy, carried by the values of Islam and its meanings, and educates companions on it.

Keywords: *Prophetic Stories, bestowed, comprehensive, eloquence.*

كان الرسول – ﷺ – أول من سلك نهج القرآن الكريم، وترسَّم خطاه في توظيف القصة من أجل نشر الوعي وتعميق مبادئ الإسلام في النفوس، حيث نجد الرسول – ﷺ – يتخذ من القصة أسلوباً مهماً من أساليب الدعوة، يحمِّلها قيم الإسلام ومعانيه، ويربي عليها الصحابة، ويوجههم من خلالها إلى فهم هذا الدين عقيدةً في الفكر،وطريقةً في السلوك وواقع الحياة.

ومما يعكس لنا اهتمام الرسول– ﷺ – بالقصة في تعليم الصحابة وتربيتهم أنه كان يكرر القصة الواحدة أكثر من مرة وفي أكثر من مجلس، وربما كان السبب في ذلك هو تجدد الوافدين على مجلسه –عليه الصلاة والسلام –من المسلمين حديثاً، أو من الصحابة الذين كانوا يتعاقبون في الاستماع إليه، وربما كان السبب أيضاً ما يحرص عليه الرسول – ﷺ – من تقرير ما تهدف إليه القصة من غايات، وما تتحدث عنه من موضوعات في نفوس مستمعيه، وظاهر تكرار القصة الواحدة في أكثر من مناسبة تؤكدها وتنطق بها عدة نصوص في كتب الحديث، فقد جاء في سنن الترمذي عند رواية قصة أصحاب الأخدود"... قال: وكان – ﷺ – إذا حدَّث بهذا الحديث حدَّث بهذا الحديث الآخر، قال: كان ملك من الملوك.." (1)، وعن قصة "الكفل من بني إسرائيل" قال ابن عمر: "لقد سمعت من رسول الله – ﷺ – حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين – حتى عدَّ سبع مرات – ولكن سمعته أكثر من ذلك قال: كان الكفل من بني إسرائيل.." (2).

وقد اشتملت كتب الحديث المعتمدة – من صحاح وسنن – على نصوص قصصية كثيرة جداً، وهي متفاوتة طولاً وقصراً، كما تتفاوت أيضاً في حظها من بروز العنصر القصصي. وقد فطن المحدثون الأوائل إلى هذه الأحاديث والتي تتميز بشكلها القصصي ونصُّوا على تسميتها قصة، ومن أمثلة ذلك عند البخاري قوله: "باب قصة الحبش"(3)، وقوله "باب قصة غزوة بدر"(4)، وقوله : "قصة يأجوج ومأجوج"(5) وغيرها، وعند مسلم كقوله: "حدثنا ابن عون عن مُحَّد عن أنس بهذه القصة نحو حديث يزيد...(6)"، وقوله: "... ثم ذكر سائر الحديث بقصته..." (7)، وقوله: "... بهذا الإسناد، الحديث عن النبي – ﷺ – مجرداً عن سائر القصة.." (8)، كما نجد عند الترمذي في سننه هذا اللفظ كثيراً – أعني لفظ "القصة" – فغالباً ما يقول:" وفي الحديث قصة"(9) و"..فذكر قصة في هذا الحديث طويلة"(10)، "...وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة .." (11)، وكذا نجده عند أبي داود، وابن ماجه، والنسائي في سننهم. ونجد في "كنز العمال"(12): الكتاب الثالث من حرف القاف: كتاب القصص، وذكر قصة أصحاب الغار، وقصة موسى والخضر عليهما السلام، وغيرهما. وجديرٌ بالذكر – ونحن نتحدث عن القصص في السنة النبوية – أن نفرِّق بين القصة في السنة والقصة في الأدب المعاصر، فقصص السنة محكوم بهدف التوجيه والتربية وليس بهدف التاريخ، والقائل له هو رسول الله – ﷺ – الذي أوتي

جوامع الكلم، فكلامه عليه الصلاة والسلام قليل في مبناه كثير في معناه، وانطلاقاً من هذا نرى أن قصص السنة يتحقق فيه مدلول القصة بوجه عام سواء قصرت نصوصه أو طالت بحسب الغرض. ولا يمكن أن نخضع القصة النبوية للمقاييس النقدية المعاصرة، إذ لا يصح أن نخضع المتقدم – بظروفه الاجتماعية – ونقوّمه وفق ظروف تختلف في الزمان والمكان[13].

يقول د. طلعت عفيفي: "فمن خطل الرأي وفساد الاتجاه أن نضع أمامنا القصص النبوي الموحى به من الله، والضارب في أعماق الماضي لمدة تقدَّر بنحو ألف وأربعمائة سنة ونحاول أن نبحث فيه عن سمات قصة اليوم وعناصرها"[14].

*__خصائص القصص النبوي__:امتاز القصص النبوي بخصائص فريدة ميزته عمَّا سواه من القصص، وتبدو هذه الخصائص جليَّةً لكل من قرأ هذه القصص وتأملها، ويمكن إجمال هذه الخصائص فيما يلي:

1 -القصص النبوي في غالبه – وخصوصاً التاريخي والغيبي المستقبلي – وحيٌ من الله عز وجل، وقد جاء ما يشير لذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[15]،وقال ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[16]،وقال﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾[17]،وقال ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[18].

وهذه الميزة تضيف لصحيح القصص النبوي نوعاً من القداسة، وتزيد الثقة به وتقديره[19].

2 -القصص النبوي قصص هادف،أغراضه سامية،وأهدافه تربوية: فالمتأمل للقصص النبوي على اختلاف أنواعه يجد أنه يشترك في غرضه ومقصده، فهذه القصص إنما ساقها النبي – ﷺ – بغرض التربية والتوجيه والدعوة ترغيباً في الخير، وترهيباً من الشر، فما كان النبي – ﷺ – يعرض تلك القصص بمختلف أنواعها لذاتها كأنماط قصصية ذات طريقة فنية جميلة، أي أنه لم يعرضها لذات الفن القصصي – وإن كان هذا يتحقق تبعاً – وإنما كان يعرضها وهو يستهدف بالدرجة الأولى المبادئ والأهداف السامية التي يريد نقلها لأمته[20].

3 -أصالة موضوعات القصص النبوي، وقوتها، وتنوعها:

فالمتأمل لموضوعات القصص النبوي يجد أنها من النوع الذي يثير في السامع أو القارئ كثيراً من الانفعالات، ويحرّك فيه شتى العواطف والمشاعر، ويجعله مرتبطاً بمتابعة القصة إلى نهايتها، وذلك لما تتمتع به الموضوعات في القصة من القوة والأصالة، بحيث تستهوي المتلقي وتشدّه إلى درجة أن يظل الموضوع حياً في تفكيره، عالقاً في ذهنه حتى بعد انتهائه من القصة بفترة طويلة.

ومما يمنح موضوعاته هذه الأصالة : ما يُلاحظ في أفكارها من العمق والغنى، إذ تتناول جوانب مهمة من قيم الإسلام ومبادئه، كما تتناول قضايا غاية في الخطورة كقضايا البعث والثواب والعقاب، بالإضافة إلى تناوله جوانب حية من حياة الإنسان وسلوكه وطبائعه بجوانبها المتعددة، وتحاول أحياناً أن تتغلغل في بواطن بعض القضايا التي ربما غابت عن وعي الإنسان، فتتناول موضوعات تهدف من ورائها إلى تبصيرنا ببعض الحقائق الخافية في باطن حياتنا، كما نجد مثل ذلك في قصة "الأم والرضيع" حيث تحاول القصة أن تصوِّر لنا الوجه الآخر لكلٍ من الراكب ذي الشارة، والجارية السوداء، وما ينطوي وراء الأول من حقيقة خافية هي الشرُّ والجبروت، وما وراء تلك الجارية المسكينة من خير وصلاح، كما تعكس ما ينخدع به الإنسان من مظاهر برَّاقة تحول بينه وبين أن يرى الحقيقة الناصعة، وكذلك في قصة "المتصدق على زانية وغني وسارق" فهي تعالج موضوعاً في غاية من الأهمية والخطورة، وبطريقة تحمل فكرة عميقة عن الحياة والمجتمع.

وأما الغنى في موضوعات القصة النبوية والتنوع فلا أدلُّ عليه من كثرة القصص التي تربو عن المئة قصة، وكل قصة تحمل فكرة أو أكثر، تعرض قضية ما أو جانباً من جوانبها، وكل حادثة أو موقف أو علاقة في قصة من القصص لابد أن تنتهي إلى تقرير فكرة أو نظرة أو مضمون ما[21].

4 –الاهتمام بالناحية الشعورية:

ونعني بذلك ترفُّع القصة عن قيود الزمان والمكان لتستوعب الحياة كلها وتبقى آثارها حتى بعد فناء الأشخاص المفترَضِين فيها، يقول سيد قطب: "بعض القُصَّاص يصوِّر لنا الحوادث والشخصيات بغاية الدقة والبراعة من الناحية القصصية، ولكنه لا يتجاوز بنا محيط هذه الحوادث والشخصيات المحدودة ولا محيط الفترة الزمنية التي تجري فيها الحوادث...،وبعضهم يوقفنا– بعد الحوادث– وجهاً لوجه أمام الحياة كلها: سننها الخالدة و أوضاعها الكونية وأقدارها الشاملة"[22].

5– الصدق: فالقصة النبوية لا تجنح إلى الخيال في اختيار موضوعاتها، وإنما تعمد إلى عالم الواقع، "فهي تخبر عن أمور حدثت، وشخصيات وجدت ليس فيها اختراع للشخصيات، أو تلفيق للحوادث"[23].

6 –الواقعية: حيث نقلت لنا القصة النبوية الشخصية الإنسانية بأمانة ودقة وواقعية، فصوَّرت الإنسان بمختلف جوانبه: الخير والشر والقوة والضعف، والإيمان والكفر، الإنسان كما خلقه الله بما فيه من جوانب روحية وجوانب مادية، واقع الإنسان وهو يهبط إلى الأرض وإلى رغبات الأرض، وواقعه وهو يرتفع إلى مستوى نفخة الروح، وواقعه أيضاً وهو يصارع جوانب الشر ويدافعها وينتصر عليها في النهاية مؤكداً بذلك أصالة الخير فيه وقوته في كيانه.

وحين ننتقل إلى نصوص القصة نجد أن جانب الضعف الإنساني واضح في كثير من شخصياتها نجده مثلاً في شخصية "البغيّ" في قصة"جريج"، فهذه المرأة تُمَثِّل دور الإثم والخطيئة بصورة قوية ومع أنها بغيّ، وهذا كافٍ في بيان إغراقها في الشر فإنها تتوغل في هذا السبيل الهابط وتتبرع للجماهير التي أغاظها صلاح العابد "جريج" بأن تقوم بإغرائه وإفساده، وحين تفشل في ذلك معه تتعرض للراعي وتمكِّنه من نفسها لتحمل منه، ثم تتهم بهذا الحمل ذلك العابد الصالح، ويشاركها في هذا الموقف الدنيء "الجماهير" التي شجعتها في بداية القصة على أن تفتن جريجاً وتصرفه عن عبادته، ثم قاموا بإيذائه حين اندفعوا في غير رويّة أو تثبُّت يضربونه ويشتمونه ويهدمون صومعته.

وفي قصة أخرى وهي قصة "الأقرع والأبرص والأعمى" نجد الأبرص والأقرع يمثلان جانب الجحود والنكران للجميل، والكفر السافر للنعمة التي أسبغها الله عليهما صحة بعد مرض، وغنى بعد فقر، ولكنهما يكفران ولا يشكران، وهو واقع موجود في نفس الإنسان الذي لم يلتزم تماماً بمنهج الإسلام:﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾[24]،﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾[25].

والطغيان والجبروت والكفر بالله ناحية تلح عليها القصة النبوية في أكثر من قصة تعكس بها جانب الشر الذي ينطوي عليه نفوس الملوك بشكل خاص وذوي السلطان فتراها جلية في قصة "أصحاب الأخدود"،و "سارة امرأة إبراهيم عليه السلام والملك الجبار" وغيرها. وكما رسمت القصة النبوية جانب الشر في الإنسان رسمت أيضاً جانب الخير والصلاح والفضيلة، ففي قصة "خشبة المقترض" مثلا ترى جوانب الخير البارزة في المقرض والمقْتَرِض، وقيمة الإيمان الكبرى المتمكنة في نفسيهما.وفي قصة "الزائر أخاه في الله" نواجه مثلاً آخر يدل على أصالة هذه الناحية في النفس الإنسانية "حباً في الله" يترفع عن الأغراض الشخصية والمكاسب المادية.

كما تقدم لنا القصة النبوية صورة رائعة تصور قدرة الإنسان على الانتصار على ضعفه، وأن هذا الهبوط إنما هو تردٍّ يحدث في غيبة الإيمان، فما يلبث أن يفيق العبد وينتصر على شهواته ونزواته كما في قصة "أصحاب الغار" حيث كان رجل منهم قد مُكِّن من فعل الفاحشة بأمرأة كان يهواها فلما ذُكِّر بربه، استيقظت فطرته وارتعد جسده خوفاً من الله، فما كان منه إلا أن انصرف عنها لم

يمسسها بسوء، واحتسب هذا عملاً خالصاً يتقرب به لله تعالى.كما لفتت القصة النبوية الأسماع إلى جانب مهم، ألا وهو أن النفس العاصية قد يوجد فيها جوانب مضيئة مشرقة، كما في قصة البغي التي سقت كلباً فغفر الله لها، وقصة الرجل الخطّاء الذي طلب من أولاده أن يحرقوه بعد موته خشية لله، وكذا القاتل مئة نفس،فقد كان مجرماً مُغْرقاً في الإجرام يسفك الدماء وفي لحظة ما يدرك أنه أخطأ، ويسعى ويحاول هنا وهناك في حركة دؤوبة جاءت من أجل الانتصار على النفس والعودة لباريها[26].

7 –الالتزام:

الالتزام في الأدب يعني أن ينحو الأديب بفنه إلى تحقيق المثل العليا في المجتمعات الإنسانية من خلال الدعوة إلى تثبيت الدعائم الخلقية، ولقد تجلَّى هذا المعنى بوضوح في القصة النبوية في مضمونها وفي طريقة أدائها، أما المضمون فإنه مستمد من عقائد الإسلام وأخلاقه، وأما طريقة الأداء فإن أبرز مظاهر الالتزام فيها استخدام الوسيلة النظيفة في التعبير والتصوير للشخصيات والمواقف، فليس فيها ما يثير الغرائز أو يدغدغ المشاعر، مع ما يَرِدُ فيها أحياناً من مواقف جنسية تصوِّر همَّ الرجل بالمرأة، إلا أنها تقدِّمه بأسلوب رفيع المستوى تتشح عباراته بالعفة، وترتدي أثواب النزاهة.تأمل مثلاً هذه العبارات في قصة "جريج": "امرأة يُتمثل بحسنها"، "فأمكنته من نفسها فوقع عليها – أي الراعي"، وفي قصة أصحاب الغار": "أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء"، "فطلبت منها"، "فلما وقعت بين رجليها"، "اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه"، وفي قصة "أم الخبائث": "فَعلقته امرأة غويَّة"، "فلم يَرِمْ حتى وقع عليها"، إنها إلماحات سريعة، وكنايات دقيقة تدل على المقصود ولا تفصِّل فيه،فلا تصِفُ المشاعر الجنسية، ولا تهتم بوصف محاسن المرأة،وتصوير مفاتنها، وما هي عليه من إغراء يثير كوامن خفية لقارئ أو سامع القصة، بل إن القصة النبوية تختار من نفس بطل القصة اللقطة المترفعة المستعلية النظيفة، التي تصلح للقدوة وتغري بالارتفاع، لا تصنع كما تصنع الفنون الحديثة المتأثرة بالتفسير الحيواني للإنسان، ولا تجعل من لحظة الضعف بطولة تستحق الإعجاب والتصفيق، إنها تعرضها عرضاً واقعياً خالصاً لا تقف عندها طويلاً، وإنما تسرع لتسلط الأنوار على لحظة التغلب على الضعف البشري، لأنها هي الجديرة بتسليط الأنوار عليها[27].

وقد برز التصوير في القصة النبوية في ثلاثة أنواع:

1- تصوير المشاهد والمواقف. 2- تصوير العواطف والانفعالات. 3- تصوير الشخصيات[28].

أهداف القصص النبوي:

إن من خصائص القصص النبوي سمو أهدافه وغاياته، والمتأمل للقصص النبوي يرى اشتراكه جميعاً في هدف واحد أسمى هو الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ دينه.وإن كان لكل قصة أغراض تفصيلية جزئية تبدو لمن أمعن النظر فيها إلا أن هذه الأغراض تصبُّ مجتمعة في الغاية العظمى وهي الدعوة إلى الله تعالى.ونحن إذ نتحدث عن أهداف القصص النبوي فإننا نعني الأهداف الرئيسة العامة التي هي بمثابة المحور المشترك بين جميع القصص النبوي أو أغلبها، أما الأهداف الجزئية والعبر التفصيلية فإنك ستجدها في موضعها عند تحليل الأحاديث.ويمكن إجمال أهداف القصص النبوي العامة فيما يلي :

1- بناء العقيدة الإسلامية الصحيحة وتثبيتها في نفوس المستمعين: وأهم قضية في أمور العقيدة هي قضية التوحيد، وبيان عظمته، وأهميته،والتحذير من الشرك وبيان سوء عاقبته.

ففي قصة "بطاقة أثقل من تسعة وتسعين سجلاً" تبرز لنا أهمية كلمة التوحيد،فهي المنقذ الوحيد لذلك الرجل الذي نُشِر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، وفي قصة "يحيى –عليه السلام– يؤمر بخمس كلمات" تجد أول تلك الخمس التي أعلنها يحيى –عليه السلام– على الناس هي أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وفي قصة "إبراهيم– عليه السلام –يلقى أباه أزر في عرصات القيامة" تجد قبح الشرك وسوء عاقبته.ومن الجوانب العقدية التي تكررت كثيراً في القصص النبوي إثبات صفات الله تعالى التي تدل

على جلاله وكماله سبحانه، فهو الرحمن الرحيم الذي يقبل التوبة، وهو الكريم الذي يعطي بلا حساب، وهو العليم الحكيم سبحانه، وهو المهيمن المتصرف في هذا الوجود فلا يقع فيه شيء صغر أو كبر إلا بأمره وإذنه، فمثلاً في قصة "سليمان– عليه السلام –يرزق بنصف إنسان" نجد تربية المسلم على تعليقه أموره المستقبلية بمشيئة الله وإذنه، فهذا سليمان – عليه السلام – نبي الله يُحرم من تحقيق مراده وغايته النبيلة من إنجاب مجاهدين في سبيل الله بسبب غفلته عن التعليق بمشيئة الملك الوهاب.وفي قصة "المتألي على الله" القائل: "والله لا يغفر الله لك" نجد النهاية المؤلمة، والهلاك المحقق لمن تقوَّل على الله وادَّعى عليه مالا علم له به. كما تجد في بعض القصص التأكيد على أهمية التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه،كما في قصة "سبعون ألفاً من أمة مُحَّد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب"، وقصة "خشبة المقترض"، وفي قصة "النبي الذي أعجب بقومه" تجد النبي – ﷺ – يلفت الأسماع في نهاية القصة إلى علاج العُجب بهذا الدعاء النابض بالتوكل والاعتراف لله تعالى بالحول والقوة "اللهم بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا بك".ومن قضايا العقيدة المهمة التي وقفت معها القصة النبوية كثيراً قضية البعث والنشور والإيمان باليوم الآخر.

2- إثبات صدق نبوة مُحَّد – ﷺ –، وإبراز مكانته العليا عند ربه سبحانه: فالرسول – ﷺ – وهو الأميّ الذي لم يكن يحسن القراءة والكتابة، ولا عُرف بطلب العلم عمَّن كان يحسنه من عرب الجاهلية أو غيرهم من أهل الكتاب، يتلو على قومه هذه القصص، وقد جاء بعضها في دقة وإسهاب، وهذا مما يؤكد أنها وحي من الله تعالى، قال تعالى:﴿ تِلكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيبِ نُوحِيهَا إليكَ مَا كُنتَ تَعلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَومُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ العاقِبَةَ للمُتَّقِينَ ﴾[29].وقد جاء في بعضها التنويه بمكانة مُحَّد – ﷺ – العظيمة عند ربه سبحانه، كما في قصة "الإسراء والمعراج"، وقصة "الشفاعة"، وقصة "سبعون ألفاً من أمة مُحَّد ﷺ يدخلون الجنة بغير حساب"، و"تفاؤل رغم الجراح" فمن تأمَّل هذه القصص وغيرها وقف على تكريم الله سبحانه لنبيه مُحَّد–ﷺ – واعتنائه بشأنه.

3- إبراز النماذج الإيمانية الخيّرة المشرقة المتعاقبة على مدى الأزمان للاقتداء بها:فمنذ أن خلق الله الأرض ومن عليها لم تخلُ من نماذج خيِّرة كالأنبياء والمرسلين ومن نهج طريقتهم واهتدى بهديهم.فالأفراد –كما هو ملاحظ – يميلون إلى محاكاة سلوك الأشخاص الذين يتمتعون بمكانة اجتماعية مرموقة، أو خصائص جذابة أكثر من محاكاتهم لأفراد لا يمتلكون مثل هذه السمات[30]. وكمال القدوة والتميز الذي يغري بالاقتداء والمحاكاة متوفر في أنبياء الله – عليهم السلام – والرسل كما هو معلوم من بني آدم لهم خصائص البشر وصفاتهم لا يخرجون عن صفتهم البشرية، ولكن الله – عز وجل – اصطفاهم وأنعم عليهم باختيارهم رسلاً للناس وخصَّهم لذلك ببعض الخصائص والصفات التي لا يشترك معهم بقية البشر فيها،ولله عز وجل الحكمة البالغة في كون الأنبياء بشراً، فلو لم يكونوا كذلك لم يكن هناك مجال للاقتداء بهم والتأسي بأحوالهم[31].والقصة النبوية لم تقف عند حد الترغيب في الاقتداء بالأنبياء فقط، بل إنها في كثير من الأحيان تبرز أشخاصاً أخرين ليسوا بأنبياء، لكنهم اشتهروا بمواقف نبيلة وأخلاق حميدة، كانت سبباً لتخليد ذكراهم كقصة "خشبة المقترض" و"الورع وأثره في النفوس" و "أصحاب الغار" و"فضل الرفق في المطالبة" و"ساقي الكلب اللاهث" و"صوت في سحابة" و"الخطّاء التوَّاب" وغيرها.

4 –الاعتبار والاتعاظ لما جرى للأمم السابقة:

"لقد اختار رسول الله – ﷺ – من قصص الماضين ما يفيض بالعظة المؤثرة، ولا شك أن تأثير الموعظة يكون أشد وأنفذ إلى القلب حين تبدو عبرتها من خلال عرض قصصي"[32]، والاعتبار بالوقائع والأحداث والأخبار الماضية، إنما هي من نصيب العقلاء الذين ينظرون ويتفكرون ويتدبرون، فتتأثر قلوبهم وعقولهم مما علموا أو شاهدوا، وتستجيب نفوسهم لدواعي الخير والبر، وتنصرف عن وساوس الشر ودواعي الإثم، فالذي يمر على العظة والعبرة، دون أن يدركها ويتأثر بها أو يعتبر عندها يكون كمن فقد عقله، أو فقد بصره، وتبلَّد شعوره وإحساسه،وتجمد تفكيره وإدراكه[33].فالنبي – ﷺ – ما ساق قصص الماضين قاصداً التأريخ

للأحداث والوقائع وإنما كان مقصده الاعتبار بما فيها، فتراه مثلاً في قصة "النبي المعجب بقومه" يبرز العبرة من هذه القصة محذراً من العجب بالنفس والقوة والكثرة، فيصدع بدعائه "اللهم بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا بك "اعتباراً بما جرى لهذا النبي قبله.وسار على هذا النهج بعده صحابته فتجد أبا هريرة – ﷺ – بعد روايته لحديث "المتألي على الله" يحذّر من زلّات اللسان فيقول: "تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته".فلا تكاد تخلو قصة من القصص النبوي من الترغيب في الأمور المحمودة والأخلاق الكريمة، والترهيب من الأمور المذمومة والخلال الدنيئة.

5 – تسلية المؤمنين،ودعوتهم للثبات والصبر، وانتظار العاقبة الحميدة:

قال تعالى:﴿ وَكُلاًّ نَقُصُّ عَليكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَجَاءَكَ في هَذِهِ الحَقّ ومَوعِظَةٌ وذِكَرى لِلمُؤمِنِينَ﴾ [34].

ففي قصّ أخبار الأنبياء والمرسلين وما لاقوه من أذيّه وتكذيب، وقصص المؤمنين الصادقين الصابرين تسلية للمؤمنين عمَّا يلاقونه من الهموم والمصائب ليصبروا ويثبتوا ويؤمنوا بنصر الله لهم.فمن يقرأ قصة موسى –عليه السلام– مع قومه وأذيتهم له في نفسه، واتهامه بالعيب، وقصة أصحاب الأخدود وما لاقوه من التعذيب والتنكيل، وقصة الغلام والساحر، وما مرَّ به إبراهيم –عليه السلام– من ابتلاءات، ففي قصة "سارة والملك الجبَّار" يُبتلى بتسلّط ملك جبَّار يريد أن يفجر بامرأته، وفي قصة"زمزم" يترك زوجته وطفله الوحيد في وادٍ قفر إيماناً بقضاء الله وتسليماً لأمره، ثم تنكشف هذه الابتلاءات ويأتي الفرج من الله مفرّج الكروب.

المصادر والمراجع

(1) أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي السلمي، الجامع السنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون ، ص:235

(2) أبو عبد الله أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند أحمد بن حنبل ، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ – 2001 م، 23/2 ، رقم الحديث: 4747.

(3) أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، الجامع الصحيح البخاري ، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422هـ، (كتاب المناقب – الباب الثالث عشر) 1298/3.

(4) المصدر نفسه ، (كتاب المغازي – الباب الثالث) 1454/4.

(5) المصدر نفسه ،كتاب الأنبياء– الباب العاشر) 1220/3.

(6) المصدر نفسه ،كتاب الآداب/ رقم الحديث: 2144، 1690/3.

(7) المصدر نفسه ،كتاب الأشربة/ رقم الحديث: 2040 ،1614/3.

(8) المصدر نفسه ،كتاب اللباس والزينة رقم الحديث: 2125 ، 1678/3.

(9) المصدر نفسه ، انظر : (363/2)، (196/3)، (22/4)، (43/4)، (77/4)، (131/4)، 135/4) (236/4)، (313/4)، (502/4)، (627/4)، (39/5)، (46/5) وغيرها.

(10) المصدر نفسه ، 213/4.

(11) المصدر نفسه ، 467/3.

(12) جمال الدين عبدالرحمن السيوطى ، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تحقيق عبدالعال سالم مكرم. دارالبحوث العلمية الكويت ، ص 233.

(13) مُحَمَّد بن حسن الزير،القصص في الحديث النبوي ، دارالبحوث العلمية ، ص، (89) وما بعدها.

(14) مُحَمَّد بن موسى، مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية – دراسة تحليلية تربوية، بيروت، دار الفكر،2009 ص:26.

(15) سورة آل عمران، الآية 44.

(16) سورة هود، الآية 49.

(17) سورة يوسف، الآية 3.

(18) سورة النجم، الآية 4.

(19) العنزي ، الوسائل التعليمية في السنة النبوية – رواية ودراية – بيروت:دار الفكر ، 2009، ص:236.

(20) مُحَمَّد بن حسن الزير،القصص في الحديث النبوي ص: 427.

(21) المحاور الأساسية التي تنضوي تحتها وتلتقي عندها جميع الأفكار في كل قصة كما جمعها الزير في كتابه "القصص في الحديث النبوي"(379 وما بعدها) .

(22) سيد قطب، النقد الأدبي – أصوله ومناهجه، بيروت، دار الفكر، 2002،ص:79 .

(23) الجرار،خصائص القصة الإسلامية، ص : 229.

(24) سورة عبس، الآية 17.

(25) سورة العلق، الآية 6-7.

(26) مُحَمَّد بن حسن الزير،القصص في الحديث النبوي، ص :468 بتصرف.

(27) مُحَمَّد قطب ، منهج الفن الإسلامي، بيروت، دار الفكر، 2009، ص: 159.

(28) عبدالباسط أحمد حمودة ، خصائص الأسلوب في القصص النبوي– مجلة المنهل – العدد (539)، الكويت:دار البحوث العلمية،طبعة أولى،2009م، ص :36-40.

(29) سورة هود، الآية 49

(30) مُحَمَّد البيلي وآخرين، علم النفس التربوي وتطبيقاته، الرياض: دار الحضارة، طبعة أولى،2012م، ص:209.

(31) عبدالعزيز الجليل ، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، دار الفكر العربي، 2003، ج:3، ص:27.

(32) التهامي نقرة ، سيكولوجية القصة في القرآن، مصر: مطبع السعادة، طبعة ثالثة، 2009م، ص: 544.

(33) أحمد الشرباصي، أخلاق القرآن، بيروت، دار الفكر، 2002، ط:1، ص: 133.

(34) سورة هود، الآية 120.